2 - السيدة أسماء بنت عميس

نسبها

اسمها أسماء، والدها عُميس بن سعد[1]، والدتها هند بنت عوف، أختها أم المؤمنين ميمونة زوج النبي ﷺ، وأختها لبابة أم الفضل زوج العباس ﷺ وأختها سلمى زوج حمزة ﷺ.

تزوجت أسماء ﷺ جعفر بن أبي طالب ذي الجناحين، وهاجرا معاً إلى الحبشة فراراً بدينهما من قريش وإيذائها للمسلمين، وفي الحبشة أنجبت له ثلاثة أولادٍ هم: محمد، وعبد الله، وعون.

ولما رجع المهاجرون من الحبشة كان رسول الله ﷺ قد توجَّه لفتح خيبر، وبعد أن فتحها الله عليه أُخبر بعودة المهاجرين من الحبشة، فلما رأى رسول الله ﷺ جعفرَ قبَّل بين عينيه، والتزمه[2]، وقال: «**مَا أَدْرِي بِأَيُّهُمَا أَنَا أُسَرُّ، بِفَتْحِ خَيْبَرَ أَمْ بِقُدُومِ جَعْفَرَ؟**».

كان رَسُولُ اللهِ ﷺ شديد الحب والتقدير لِجَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وكَانَ دَائِماً يَقُولُ لَهُ: «**أَشْبَهْتَ خَلْقِي وَخُلُقِي**»[3].

الأخوات المؤمنات

وشهد رسول الله ﷺ لأسماء وأخواتها بالإيمان حين سمَّاهنَّ

---

(1) في الاستيعاب: «عميس بن مالك بن النعمان»، وفي سيرة ابن هشام: «عميس بن سعد بن الحارث».

(2) التزمه: ضمه إليه ولصق به.

(3) رواه: أحمد/كتاب: أول مسند الكوفيين/باب: حديث عبد الله بن أسلم مولى النبي ﷺ/برقم: (18238).

«**الأخوات المؤمنات**»، وهل هناك أرفع من وسام الإيمان يسمو إليه عاقلٌ في هذه الحياة؟.

لقد روي عن ابن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ الأَخَوَاتِ لَمُؤْمِنَاتٌ**»، وفي لفظٍ: «**الأَخَوَاتُ الأَرْبَعُ المُؤْمِنَاتٌ ميمونة وأم الفضل ابنتا الحارث؛ وسلمى وأسماء ابنتا عُمَيْسٍ**».

دورها في الدعوة والجهاد

وكان لها ولأخواتها أثرٌ كبيرٌ في الدعوة إلى الله قولاً وعملاً وسلوكاً، ونشر دينه في أوساط النساء، وقد أخرج البخاري في صحيحه عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ قَالَ: بَلَغَنَا مَخْرَجُ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ بِالْيَمَنِ، فَخَرَجْنَا مُهَاجِرِينَ إِلَيْهِ أَنَا وَأَخَوَانِ لِي أَنَا أَصْغَرُهُمْ، أَحَدُهُمَا أَبُو بُرْدَةَ وَالآخَرُ أَبُو رُهْمٍ، إِمَّا قَالَ: بِضْعٌ؛ وَإِمَّا قَالَ: فِي ثَلاثَةٍ وَخَمْسِينَ، أَوْ اثْنَيْنِ وَخَمْسِينَ رَجُلاً مِنْ قَوْمِي؛ فَرَكِبْنَا سَفِينَةً فَأَلْقَتْنَا سَفِينَتُنَا إِلَى النَّجَاشِيِّ بِالْحَبَشَةِ، فَوَافَقْنَا جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، فَأَقَمْنَا مَعَهُ حَتَّى قَدِمْنَا جَمِيعًا فَوَافَقْنَا النَّبِيَّ ﷺ حِينَ افْتَتَحَ خَيْبَرَ.

وَكَانَ أُنَاسٌ مِنَ النَّاسِ يَقُولُونَ لَنَا، يَعْنِي لأَهْلِ السَّفِينَةِ: سَبَقْنَاكُمْ بِالْهِجْرَةِ، وَدَخَلَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ - وَهِيَ مِمَّنْ قَدِمَ مَعَنَا - عَلَى حَفْصَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ زَائِرَةً وَقَدْ كَانَتْ هَاجَرَتْ إِلَى النَّجَاشِيِّ فِيمَنْ هَاجَرَ، فَدَخَلَ عُمَرُ عَلَى حَفْصَةَ وَأَسْمَاءُ عِنْدَهَا فَقَالَ عُمَرُ حِينَ رَأَى أَسْمَاءَ: مَنْ هَذِهِ؟ قَالَتْ: أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ، قَالَ عُمَرُ: الْحَبَشِيَّةُ هَذِهِ، الْبَحْرِيَّةُ هَذِهِ؟ قَالَتْ أَسْمَاءُ: نَعَمْ، قَالَ: سَبَقْنَاكُمْ بِالْهِجْرَةِ فَنَحْنُ أَحَقُّ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْكُمْ، فَغَضِبَتْ وَقَالَتْ: كَلا وَاللهِ، كُنْتُمْ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ يُطْعِمُ جَائِعَكُمْ، وَيَعِظُ جَاهِلَكُمْ؛ وَكُنَّا فِي دَارِ - أَوْ فِي أَرْضِ - الْبُعَدَاءِ الْبُغَضَاءِ، بِالْحَبَشَةِ، وَذَلِكَ فِي اللهِ وَفِي رَسُولِهِ ﷺ وَايْمُ اللهِ لا أَطْعَمُ طَعَامًا وَلا أَشْرَبُ شَرَابًا حَتَّى أَذْكُرَ مَا قُلْتَ

لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَنَحْنُ كُنَّا نُؤْذَى وَنُخَافُ وَسَأَذْكُرُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأَسْأَلُهُ؛ وَاللهِ، لا أَكْذِبُ، وَلا أَزِيغُ، وَلا أَزِيدُ عَلَيْهِ.

فَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ قَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللهِ، إِنَّ عُمَرَ قَالَ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: **«فَمَا قُلْتِ لَهُ؟»** قَالَتْ: قُلْتُ لَهُ كَذَا وَكَذَا قَالَ: **«لَيْسَ بِأَحَقَّ بِي مِنْكُمْ، وَلَهُ وَلأَصْحَابِهِ هِجْرَةٌ وَاحِدَةٌ وَلَكُمْ أَنْتُمْ – أَهْلَ السَّفِينَةِ – هِجْرَتَانِ»**.

قَالَتْ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ أَبَا مُوسَى وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ يَأْتُونِي أَرْسَالاً يَسْأَلُونِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ، مَا مِنَ الدُّنْيَا شَيْءٌ هُمْ بِهِ أَفْرَحُ وَلا أَعْظَمُ فِي أَنْفُسِهِمْ مِمَّا قَالَ لَهُمْ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ أَبُو بُرْدَةَ: قَالَتْ أَسْمَاءُ: فَلَقَدْ رَأَيْتُ أَبَا مُوسَى وَإِنَّهُ لَيَسْتَعِيدُ هَذَا الْحَدِيثَ مِنِّي[1].

زوجة الشهيد جعفر الطيار

ولما استقر مقام أسماء بنت عميس وزوجها جعفر بن أبي طالب في المدينة المنورة – حرسها الله تعالى – بات جعفر لا يتخلف عن مشهدٍ أو غزوة مع رسول الله ﷺ حتى اختاره رسول الله ﷺ أحد ثلاثة أمراء للجيش الذي جهَّزه للقاء الروم في مؤتة.

روى الإمام أحمد في مسنده عَنْ خَالِدِ بْنِ سُمَيْرٍ، قَالَ: قَدِمَ عَلَيْنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ رَبَاحٍ فَوَجَدْتُهُ قَدْ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ نَاسٌ مِنَ النَّاسِ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو قَتَادَةَ فَارِسُ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللهِ ﷺ جَيْشَ الأُمَرَاءِ، وَقَالَ: **«عَلَيْكُمْ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، فَإِنْ أُصِيبَ زَيْدٌ فَجَعْفَرٌ، فَإِنْ أُصِيبَ جَعْفَرٌ فَعَبْدُ اللهِ بْنُ رَوَاحَةَ الأَنْصَارِيُّ»**.

فَوَثَبَ جَعْفَرٌ فَقَالَ: بِأَبِي أَنْتَ يَا نَبِيَّ اللهِ وَأُمِّي، مَا كُنْتُ أَرْهَبُ أَنْ تَسْتَعْمِلَ عَلَيَّ زَيْدًا!! قَالَ: **«امْضُوا فَإِنَّكَ لا تَدْرِي أَيُّ ذَلِكَ خَيْرٌ؟»**.

---

(1) رواه: البخاري/كتاب: المغازي/باب: غزوة خيبر/برقم: (3905).

قَالَ: فَانْطَلَقَ الْجَيْشُ فَلَبِثُوا مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ صَعِدَ الْمِنْبَرَ وَأَمَرَ أَنْ يُنَادَى: «الصَّلاةُ جَامِعَةٌ» فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَابَ خَيْرٌ - أَوْ ثَابَ خَيْرٌ، شَكَّ عَبْدُ الرَّحْمَنِ - أَلا أُخْبِرُكُمْ عَنْ جَيْشِكُمْ هَذَا الْغَازِي؟ إِنَّهُمْ انْطَلَقُوا حَتَّى لَقُوا الْعَدُوَّ فَأُصِيبَ زَيْدٌ شَهِيدًا، فَاسْتَغْفِرُوا لَهُ**»، فَاسْتَغْفَرَ لَهُ النَّاسُ «**ثُمَّ أَخَذَ اللِّوَاءَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَشَدَّ عَلَى الْقَوْمِ، حَتَّى قُتِلَ شَهِيدًا، أَشْهَدُ لَهُ بِالشَّهَادَةِ، فَاسْتَغْفِرُوا لَهُ**»، فَاسْتَغْفَرَ لَهُ النَّاسُ «**ثُمَّ أَخَذَ اللِّوَاءَ عَبْدُ اللهِ ابْنُ رَوَاحَةَ، فَأَثْبَتَ قَدَمَيْهِ، حَتَّى أُصِيبَ شَهِيدًا، فَاسْتَغْفِرُوا لَهُ**»، فَاسْتَغْفَرَ لَهُ النَّاسُ.

ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**ثُمَّ أَخَذَ اللِّوَاءَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ**» - وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الأُمَرَاءِ، هُوَ أَمَّرَ نَفْسَهُ - فَرَفَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أُصْبُعَيْهِ وَقَالَ: «**اللَّهُمَّ هُوَ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِكَ، فَانْصُرْهُ**»، وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فِي رِوَايَةٍ: «**فَانْتَصِرْ بِهِ**»، فَيَوْمَئِذٍ سُمِّيَ خَالِدٌ سَيْفَ اللهِ.

ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**انْفِرُوا فَأَمِدُّوا إِخْوَانَكُمْ، وَلا يَتَخَلَّفَنَّ أَحَدٌ**» فَنَفَرَ النَّاسُ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ مُشَاةً وَرُكْبَانًا[1].

ولكن كيف علمت أسماء باستشهاد جعفر رضي الله عنه؟ ها هي ذي أسماء تروي لنا قصة ذلك فيما رواه الإمام أحمد عَنْ أُمِّ عِيسَى الْجَزَّارِ، عَنْ أُمِّ جَعْفَرٍ بِنْتِ مُحَمَّدِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، عَنْ جَدَّتِهَا أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ، قَالَتْ: لَمَّا أُصِيبَ جَعْفَرٌ وَأَصْحَابُهُ دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَقَدْ دَبَغْتُ أَرْبَعِينَ مَنِيئَةً[2]، وَعَجَنْتُ عَجِينِي، وَغَسَّلْتُ بَنِيَّ وَدَهَنْتُهُمْ وَنَظَّفْتُهُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**ائْتِينِي بِبَنِي جَعْفَرٍ**»، قَالَتْ: فَأَتَيْتُهُ بِهِمْ فَشَمَّهُمْ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ،

(1) رواه: الإمام أحمد/كتاب: باقي مسند الأنصار/باب: حديث أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه/برقم: (12509).

(2) في رواية: أربعين إهاباً - جلداً - من أُدم - جمع أديم، وهو الجلد.

فَقُلْتُ: «يَا رَسُولَ اللهِ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، مَا يُبْكِيكَ؟ أَبَلَغَكَ عَنْ جَعْفَرٍ وَأَصْحَابِهِ شَيْءٌ؟ قَالَ: **«نَعَمْ، أُصِيبُوا هَذَا الْيَوْمَ»** قَالَتْ: فَقُمْتُ أَصِيحُ وَاجْتَمَعَ إِلَيَّ النِّسَاءُ.

وَخَرَجَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى أَهْلِهِ فَقَالَ: **«لا تُغْفِلُوا آلَ جَعْفَرٍ مِنْ أَنْ تَصْنَعُوا لَهُمْ طَعَامًا، فَإِنَّهُمْ قَدْ شُغِلُوا بِأَمْرِ صَاحِبِهِمْ»**[1].

واجتمع النساء إلى أسماء يهدئن من روعها وجزعها على خبر نعي زوجها، فجعل رسول الله ﷺ يقول: **«يَا أَسْمَاءُ، لاَ تَقُولِي هُجْراً، وَلاَ تَضْرِبِي صَدْراً»**، ثم قال: **«تَسَلَّبِي ثَلاَثاً، ثُمَّ اصْنَعِي مَا شِئْتِ»**.

ودخل رسول الله ﷺ على ابنته فاطمة الزهراء وهي تندب جعفرَ وتقول: واعَمَّاه!! فقال رسول الله ﷺ: **«عَلَى مِثْلِ جَعْفَرَ فَلْتَبْكِ الْبَاكِيَةُ»**، ثم قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«اصْنَعُوا لآلِ جَعْفَرٍ طَعَامًا فَإِنَّهُ قَدْ أَتَاهُمْ أَمْرٌ شَغَلَهُمْ»**[2].

زوجة الصديق وخليفة رسول الله

ولما كان يوم حنين ذهبت أم رومان زوج الصِّدِّيق ﵂ إلى لقاء ربها، فجاء الصِّدِّيق إلى أسماء يخطبها، ومثل أبي بكرٍ لا يُردُّ، فمكارمه أكثر من أن تُعدَّ.

ودخلت أسماء بيت أول من اكتحلت عيناه بنور الإيمان، فمنحها وأولادها كل ما لديه من الحب والحنان، وأثمر زواجهما عن ولادة مُحَمَّدِ ابْنِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ أثناء طريقهما لحجة الوداع، روى النسائي عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ أَنَّهَا وَلَدَتْ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ بِالْبَيْدَاءِ فَذَكَرَ أَبُو بَكْرٍ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: **«مُرْهَا فَلْتَغْتَسِلْ ثُمَّ لِتُهِلَّ»**[3].

---

(1) رواه: أحمد/ كتاب: باقي مسند الأنصار/ باب: حديث أسماء بنت عميس ﵂/ برقم: (25839).

(2) رواه: أبو داود/ كتاب: الجنائز/ باب: صنعة الطعام لأهل الميت/ برقم: (2725).

(3) رواه: النسائي/ كتاب: مناسك الحج/ باب: الغسل للإهلال/ برقم: (2615).

وكانت أسماء شريكة الصِّدِّيق في أفراحه وأتراحه، وكان أقسى ما تعرَّض له الزوجان الوفيان انتقالَ الحبيب الأعظم ﷺ إلى الرفيق الأعلى، وانقطاع الوحي.

وكانت أول أزمة صادفها الصِّدِّيق بعد اختياره خليفة للمسلمين إتمام بعث أسامة بن زيد، فقد طلب بعض الصحابة أن يكون أمير الجيش من هو أَسَنُّ من أسامة، ولكن ما كان الصِّدِّيق رضي الله عنه لينقض ما أمر به رسول الله ﷺ، وخرج بنفسه يُشيِّعُ جيش أسامة رضي الله عنه.

ثم انفجرت أزمة أخرى افتعلها المرتدون حين امتنعوا عن أداء الزكاة، لكن الجيوش التي جيَّشها الصِّدِّيق لمحاربتهم، والعزيمة الراسخة التي واجههم بها، قوَّضت أحلامهم، وقضت على آمالهم وأوهامهم بتقويض البنيان الذي أرسى دعائمه رسول الله ﷺ وثبت قواعده، وما كان الباطل ليصمد أمام الحق الذي رفع الصِّدِّيق لواءه، واستؤصلت شأفة المرتدين، وقُطع دابر الكافرين، وأُرسل كذَّاب اليمامة إلى سَقَرَ ليلقى فيها أسوأ مستقر.

ويبدو أن شيخ الإسلام قد فاض شوقه إلى لقاء الحبيب الأعظم ﷺ، وأصبح فراقه أثقل من أن يحتمل، فنزل به المرض.

ولما شعر بدنوِّ أجله أوصى أسماء التي لم تكن تفارق فراشه أن تغسله بنفسها، وأقسم عليها أن تفطر إذا حضرته الوفاة لأن الإفطار أقوى لها.

وحين أزف الرحيل، بدا وجه الصِّدِّيق كأنه شعلة من نور، فضمته أسماء إلى صدرها برقةٍ وحنان، وراحت تتلو على مسامعه بعض آيات القرآن لتمنحه السكينة والاطمئنان، ولم يلبث أن فارق الحياة، رحمه الله تعالى، وأحسن إليه، ورضي عنه.

وكانت أسماء صائمة فأفطرت لتبر بقسم بعلها الحبيب، وغسلته كما أوصاها، فكانت نِعْمَتِ الزوجة له في حياته وبعد مماته.

زوجة أمير المؤمنين علي

واعتدت أسماء، واستمر عراكها مع الحياة من أجل تنشئة بنيها الثلاثة

من جعفر ووحيدها من أبي بكر، ولكن ربيب رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب رضي الله عنه أراد أن يخرجها من وحدتها، والأحزان التي انتابتها من جراء قتل الراشدَيْنِ عمر وعثمان فتقدم لخطبتها، وتزوجا.

وانتقلت أسماء مع بنيها إلى دار أبي الحسن أمير المؤمنين، فكانت له سنداً وعوناً تضيف حكمتها إلى حكمته، وثاقب فكرها إلى ثاقب فكره، وتشاطره الأفراح وتقاسمه الأحزان.

وأنجبت أسماء لعلي ولداً يسمى يحيى، وثمة خلاف على ولد آخر يقال له: عون، والله أعلم.

ذكاء رشيد!

كانت أسماء شديدة الذكاء، إذا وجدت نفسها في مأزق أو معضلة فما أسرع ما تهتدي إلى المخرج الموصل إلى الراحة والأمان، ولنصغِ إلى هذه الحادثة الصغيرة التي عرضت لها في بيت زوجها أمير المؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

رأى عليٌّ أحد أولاد أخيه جعفر الطيار – زوجها الأول – يتشاجر مع محمد بن أبي بكر – زوجها الثاني –، وكان كلٌّ منهما يفاخر الآخر ويباهيه، ويقول: «أنا أكرم منك، وأبي خيرٌ من أبيك».

ووقف أمير المؤمنين، وحاكم المسلمين حائراً لا يدري ما يقول لهما، فالأول ابن أخيه ذي الجناحين يطير بهما في الجنة حيث يشاء، والثاني ابن الصِّدِّيق رفيق الغار، فما أصعب الاختيار!.

وبدا لأبي الحسن أن أسماء قادرة بما أُوتيت من ذكاء على حسم الأمر، فهي أمهم وتعرف كيف تُوفِّق بينهم، ونادى عليها، فلما سمعت مقالتهم قالت: «ما رأيت شاباً من العرب خيراً من جعفرَ، ولا رأيت فيهم كهلاً خيراً من أبي بكرٍ!» وتوقَّف الشجار بين الأخوين، فتعانقا وعادا إلى اللعب كأنهما حميمان قديمان.

ووقف أمير المؤمنين مبهوراً أمام حسن قضائها، ونظر إلى فرحة

النصر على وجهها، ثم قال: ما تركتِ لنا شيئاً يا أسماء!، ولكن الذكاء الذي أسعفها هناك لم يخنها هنا، فقد استجمعت شجاعتها وقالت له بأدبٍ جَمٍّ: «يا أمير المؤمنين، إن ثلاثةً أنت أَخسُّهم لَخِيَارٌ» وغمرت أبا الحسن الفرحة، فقد كانت أسماء جديرة أن تكون زوج خليفة المسلمين، ووزير صدق لأمير المؤمنين.

وفاتها

وذات صباحٍ توجَّه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ لأداء صلاة الفجر في المسجدِ فبرز له عدو الله عبد الرحمن بن مُلْجَم وضربه بسيفه المسموم، فأورده حتفه، واستبدَّ الحزن بأسماء، ثم قهرها المرض، ولم يطل بها حتى فارقت الحياة، رحمها الله وأحسن نزلها ورضي عنها.

obeikandl.com